المجلد: 17 العدد: 02/ مارس 2022
ص: 496 - 507
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

تجليات النص والسياق في الدراسات النقدية المعاصرة،مقاربة تأويلية

Reflections of the text and context in contemporary critical studies, an interpretive approach

د. صليحة لطرش *
جامعة البويرة- (الجزائر)
Seg1610@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2021/05/03 تاريخ القبول:2021/06/01 تاريخ النشر: 2022/03/28

ملخص: إن زمن سلطة الأديب الذي ولىَ قد أخلى المكان لسلطة القارئ المبدع ، فقد أدركت المناهج الحديثة اليوم أهمية العملية التوصيلية بعد أن كانت النصوص تنغلق على ذاتها ولا تمنح إلاَ ما أراده المؤلف فجاء الاهتمام بالنص كنظام منفتح بالقارئ كطرف أول وأخير في الوقت نفسه .

فعندما تنفتح النصوص وتكشف عن دلالاتها الباطنية يتسنى للجميع المعرفة والبصيرة ما يمكنه من فك شفرات ، ومن ثم أخذت المناهج التي تسمح بقراءات متعددة للنصوص وعلى رأسها المنهج التأويلي الذي ينفتح على الفهم ، فهو يستعمل آليات ومفاتيح لغوية ورمزية وابستمولوجية ، فالتأويل إذن هو مفتاح للمعنى المتوازي والخفي وراء العبارات الظاهرة والخفية باعتبار ما يحمله الواحد منها من معنى ظاهر ومعنى خفي .جعل المناهج التأويلية التي تتيح لصاحبها استنطاق البنية اللغوية وإثرائها بالمعاني والدلالات ، لذا فإننا نسعى في ورقة هذا المقال إلى تحقيق جملة من الأهداف: كالكشف عن الإنجاز التأويلي وتطوره وصولا إلى التأسيس لمفهوم السياق والنص ،عل اعتبار أن الهرمينوطيقا هي العصب الذي يرتكز عليه فعل التواصل في تجلياته،كما نحاول الكشف عن طبيعة مفهوم التواصلي داخل النصوص بكل تجلياته.

الكلمات المفتاحية : التأويل;النص; السياق; القراءة ; المعنى .

ABSTRACT: The era of the authority of the writer who has passed has cleared the place for the authority of the creative reader, as modern curricula today have realized the importance of the communicative process after the texts closed in on themselves and gave only what the author wanted, so interest in the text came as a system open to the reader as a first and last party at the same time. When the texts open up and reveal their esoteric connotations, everyone has access to knowledge and insight that enables him to decipher the codes, and then the curricula that allow multiple readings of the texts, on top of which is the hermeneutical approach that is open to understanding, uses mechanisms and linguistic, symbolic and epistemological keys. Behind the apparent and hidden expressions, considering what each of them carries of an apparent meaning and a hidden meaning. Make hermeneutic approaches that allow its owner to interrogate the linguistic structure and enrich it with meanings and connotations. The context and the text, considering that hermeneutics is the nerve on which the act of communication is based in its manifestations. We also try to reveal the nature of the concept of communication within texts in all its manifestations.

Keywords: hermeneutics; Context; Text ; reading ; the meaning .

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إنّ مسألة تحديد مفهوم التَّأويل ليست هي المشكلة الوحيدة والأساسية التيلا نظير لها، فهناك مسألة ممارسة التَّأويل التي هي ممارسة فردية، وذاتية، وشخصية.. أي أنَّها ليست خاضعة لقوانين اضطرارية أو أقيسة تكرارية تفرض نوعاً من الاتفاق أو التَّوافق بينالممارسين. ومن جهة المقابلة، فإنمشكلة النَّصلا تقلُّ أهميةً وخطورةً في عملية التَّأويل ، أيّا كان مصدر النَّص وأيّاكانت طبيعته.

تعدّ مشكلة حدود التَّأويل من المشكلات المركَّبة من الحوامل الثَّلاثة السابقة: المفهوم ،والقارئ،والنص.لذلك،فهي مشكلةٌ معقدةٌ، لم تحظ حتَّىالآن بما تستحقُّ ما يكفي من عناية واهتمام؛ لأن السجالات كانت تدور غالباً حول نتائج التَّأويل وغاياته والموضوعات أو النصوص التي يتم تأويلها، ومن هنا تأتي محاولة البحث في حدود التَّأويل.

فمع ترسيخ الاتجاهات النقدية المعاصرة التي تدعي موت المؤلف وميلاد القارئ ظهر من ذلك كل الامتيازات للمؤلف التي اكتسبها خلال فترة مضت من تاريخ الأدب ، أذ أصبح بموجبه الاهتمام بكل ما يخص حياته ليشغل حيزا كبيراًمن العمل النقدي ليصبح بذلك القارئ المؤلف البديل والمهيمن على العمل الأدبي .

فسلطة الأديب الذي ولَىَ قد أخلى المكان لسلطة القارئ المبدع ،إلاَّ أن المناهج النقدية الحديثة قد أدركت أهمية كل من القارئ والمؤلف في العملية التواصلية ، بعد أن كانت النصوص تنغلق على ذاتها ولا تمنح إلا ما أراده المؤلف ، فجاء من ذلك العناية بالنص بوصفه نظاما مفتوحاً وبالقارئ أوّلاً،والأخير عندما يضع النقطة النهاية ، ويكون الأول؛ لأنه سيكون بعد القراءة كاتباً جديداً ومبدعا ثانيا ، أملاًمنه الوصول في الوصول إلى معنى يراه موضوعيا، وقد انفتحت النصوص وتكشّفت دلالتها المختفية ، فأخذت بذلك المناهج التي تسمح بقراءات متعددة للنصوص،وعلى رأسها المنهج التأويلي،" الذي يستعمل آليات ومفاتيح لغوية ورمزية وابستمولوجية في إدراك حقائق الأجزاء ، فهو مفتاح للمعنى الخفي وراء العبارات الظاهرة".

ولكن أين تكمن مشكلة التَّأويل الأساسية؟ هل هي في مفهوم التَّأويل أم فيممارسته؟ هل هي في شخص المؤول أم في النَّصالمؤول؟

إنّ حدود التَّأويل من المشكلات المركَّبة من العوامل الثَّلاثة :المفهوم والقارئ والنص،لذلك ارتأت هذه الدراسة على الوقوف لما يسمى بالمناهج النقدية الحديثة التي تعطي للقارئ سلطة تمكّنه من قول مالم يقله المؤلف ليغوص بذلك في بحر ما يسمى بتعدّدية المعاني . لذا،نجد من الضروري الوقوف عند مفهوم التأويل في تحديد قراءات البُنى النصية ،حيث نوجه عنايتنا إلى الذوات القارئة ،التي تتميّز بتصورات وتمثّلات متباينة للنصوص المكتوبة، تُشكِّل في مجموعها ما يسمى بمفهومية سلطة تأويل النص أو الشبكة المفاهيميةللنص،كونها رافدا مهماً من الروافد المهمة التي تعتمده العملية النقدية للنصوص.عدا عن سلطة السياق .

2.التأويل والسياق:

2-1: التأويل.

للتأويل عدة معاني لغوية واصطلاحية، ففي المعنى اللغوي جاء في بيان معناه في لسان العرب:" الأَوْل الرجوع إلى الشيء يؤول ومآلا رجع ، وأوَّل إليه الشيء : رجعه وألت عن الشيء أرددت ".(1)

أما الأوّل في معجم مقاييس اللغة،فأصلان هما:" ابتداء الأمر وانتهاؤه من استعماله في الابتداء قولك: الأوّل وهو مبتدأ الشيء ، ومن استعماله في الانتهاء قولهم الأيل ، وسيمي أيلا لأنه يؤول إلى الجبل وينتهي إليه ليتحصن فيه".(2)

يُجمع المعجمان على أنّ التأويل هو الرد والرجوع إلى المعنى الأصلي أي رد معاني الكلام وإرجاعه إلى أصله .

إن تبعية التأويل هاته للفهم ، هو التقدم على التفكير، وإنه سبق لكل تأسيس موضوع من ذات أعلى هذه الاسبقية تتجلى على هذه الصعيد في نظام السبق الذي يتحول دون أن يكون التوضيح ضمّاً لاحتمال معطى سلفاً دون افتراض قبلي فهو أي نظام يسبق موضوعه .[3]

ومن ثم صار الأمر على هذا الأساس إلى معنى الناطق) énonciateur) ومعنى النطق تلفظا كان (énonciation)أو ملفوظا) énoncé) وما يتعلق من مسائل إعادة بناء السياق الأصلي، و تركه، والجمع بينهم.[4]

لقد ارتبط التأويل بثلاثة عناصر أساسيةهي:" المؤلف والخطاب والمؤوِل. فمع الأول، لا يساوي النص إلا معنى عينه هو بنفسه،و لا ينبغي للمؤول أن يفهم غيره ولا للنص أن يقول سواه. ومع الثاني [الخطاب]،يتعلق التأويل ببنيته داخل جملة العلاقات التي تكونه وتصرفه إلى معنى ما . وتؤدي موضوعية اللغة دور الموجه إلى ذلك المعنى. ومع الثالث [المؤوَّل]تتحول كل المفاهيم، إذ يتعين عنده المعنى بناءً على معطيات الخطاب واهتمامات المؤوِّل".[5]

من هذا المخطط، يتعين انتفاء الموقف المماثل الذي يقوم عليه القصد الثاني بوصفه معادلا للقصد الأول، كما يمكن أن نجد له في الواقع ما يسدّ ثغراته بفعل التجربة الذاتية .وقد تمَّ التعامل مع الخطاب [6] للمؤول في مقابل ما يثيره فيه الخطاب من استجابات بما يتناسب والتوجه المنهجي للناقد؛ فرولاند بارت Barthes. R اكتفى[7]الأدبي بالنص وحده، وصار العمل الفني دالا على مدلول. وأما ميشال ريفاتير،Riffaterre.M،فجمع بين النص وبين شيء من قصدية المؤلف بحكم توجهه الأسلوبي. لينحو امبيرتو إيكو Eco Umberto)إلى قصد النص وقصد مؤلفه. وراح هانس بتر ياوس) Jaus.P.H)إلى استقصاء آفاق القراءة الممزوجة بحضور تاريخي مع مقصدية المؤلف .وتتعيّن القراءة عند فولفانغإيزر) Iser.Wبإنشاء نص بديل عن النص الأصلي والقارئ معا. فقداكتفى بعضهم بالنص وزاوجه بعضهم بغيره لإمكانية أن يكون

الزائد على النص مساعدا على جودة القراءة ودقّتها. اللاتحديد يوازي التجربة لا موقف مماثل الشخصية للمؤول ملء فجوات اللاتحديد بإحالة الخطاب إلى عوامل واقعية.[8]

لذلك "فالتجربة التأويلية جهوية فيما يخص نقطة انطلاقها، ولكنها شاملة من جهة رؤيتها، بما أنها تتعلّق بالأسس وهذه الشمولية هي التي تجعل من التأويلية في تقاطع مع غيرها من المناظر النقدية وكذا تحديد مناطق التداخلفيها".[9]

أما جميل صليبا، فيرى" أن التأويل مشتق منمن المعنى الأول وهو الترجيع".[10]أي أن" البيئة النحوية حمل الظواهر اللغوية على غير الظاهر للتوفيق والمواءمة بين أساليب اللغة العربية."[11]

فلو جئنا إلى الاعتبارات الثلاثة التي جاء بها العالم اللغوي أبو عباس أحمد ابن تيمية، تتبين على ثلاثة أشكال وهي :

1-**أحقية تأويل الكلام**،وإن وافق ظاهره وهو المعنى نفسه الذي نجده –وهذا ما جاء في قوله تعالى :"هلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ".[12]

2-**التفسير** : بيان معني التأويل وتفسيره من طرف الراسخين في العلم.

3-**صرف اللفظ عن ظاهره** :أي إلى ما يخالفه وهذا النوع يكون مخالفا لما يدل عليه اللفظ .[13]

من الشكل الأول والثاني والثالث نرى أن القرآن الكريم قد تناول مصطلح التأويل في مواضيع متعددة كقوله تعالى :"هلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ".[14]

فالمصطلح لم يظهر بوصفه حاجة فكرية ومعرفية ومنهجية إلا بعد وجود النص الديني حتى أنه قد بدا لبعض المهتمين أن مصطلح التأويل مصطلح ديني .

ولئن كان المعنى الاصطلاحي للتأويل في التراث النقدي العربي واضحاً ،فإنّه يعنى في الدراسات الغربية التفسير كذلك. ففي كتاب (Perihermensias)يركز أرسطوعلى عبارة التأويل ،ويرى أن تكمن في كيفية التعبير عن الفكرة.[15]أي أن أرسطو يجعل منطق التأويل سابقا للنص لا لاحقا عليه ؛لأن صاحب النص هو الذي يقدّم فهماً للفكرة التي تكون في ذهنه ،كما أن المتلقي يقدم فهماً للنص الذي يتلقاه .

أما عند بول ريكور،فيربط التأويل بالنص، و هذا عن طريق القراءة المتعددة و الفهم المختلف؛لأن كل قارئ لنص ما يمكن أن يحدّد معنى للنص الذي قرأه بخلاف غيره الذي قدّم قراءة مغايرة لما قرأه الأوّل،إذيقول :" التأويل هو فنّ تأويل النصوص في سياق مخالف مؤلفها و جمهورها الأول، يهدف إلى اكتشاف أبعاد جديدة".[16]

و مع القرن العشرين، بل مع النّصف الثاني منه تحديداً، صار التَّأوِيل ظاهرة فكريةً ونقديةً ، بل مدرسةً فكريةً متعدّدة الاتجاهات والمذاهب، وكثُر المشتغلون فيالتَّأوِيل كثرةً كَثُرتْ معها دلالات التَّأوِيل

وأساليب الممارسة التَّأوِيلية حتَّى وصلنا مع بارت . Barthesعلى موت المؤلف وخلود القارئ، وفوجئنا مع أومبرتوإكوUmberto Eco بفتح آفاق التَّأوِيل على اللامحدود واللامحدد، الذي سبق بارت ثُم تجاوزه.ففي عام 1962م وضع كتابه (العمل المفتوح)، وفي ذلك الكتاب"دافع عن الدور الفعّال للمؤوّل في قراءة النَّص بالقيمة الجمالية" [17] وفتح آفاق التَّأوِيل إِلى درجة أَنَّهو ذاته أبان عن أَنَّه كان يقوم بدراسة الجدل القائم بينحقوق النَّصوص وحقوق المؤلفين، وبعبارة أدقّ حقوق النَّصوص وليس حقوق المؤلفين.الذي يحوّل النَّص إِلى مادة من غير مصدر، ومن ثممادة لا يوجد من يدافع عنها .

2-2 قدرة التأويل في البحث عن المعنى .

لقد اكتسب القارئ مع الاتجاهات النقدية الحديثة دوراً إيجابياً نشطاً معبّراً عن قيمته وأهميته،إذأصبح القارئ منتِجاً وبانياً في الوقت نفسه،وأصبح بذلك صاحب النص الطرف الغائب في هذا المجال والإقرار بقدرة القارئ على إنتاج المعنى وتوليد الدلالات ، الأمر الذي يضعنا أمام جملة من التساؤلات التي ترفض تحول القارئ من متلقي سلبي إلى بانٍ جديد، وبانٍ متميّز.

فما الذي يقرؤه القارئ في النص حيث تبتدئ له المعاني الجديدة ، هل يقوم بإسقاط اهتماماته ورغباته في النص ؟ أم أن النص هو الذي يقرّ في القارئ هذه الاهتمامات ويحسم النتائج ؟

هناك من النقّاد من يرى بأن النص له دور تشكيل فهم القارئ، وهناك من يعطي المركزية للقارئ نفسه فيفتح له أفق القراءة ويوسع صلاحيات التأويل .

لكن الدرس النقدي الحديث يؤكد بأن "نصيب القارئ كبير في حدوث التأويل ومنح النص معنى ربما لم يرِد فيه أساساً ، ومن ثمّ.فان علاقة النص بالتأويل أصبحت علاقة وجود بوجود ، فلا نص دون قارئ ولا نص دون تأويل وهذا ما يظهر بشكل كبير على المنظرين الغربيين أمثال جاك دريداJacques Derrida.في نظريته *التفكيكية * التي تسعى إلى تفكيك النص وتفجيره إلى وحدات يتعقبها المُؤَوِّل للوصول إلى التناقض أو بعبارة أخرى عدم الانسجام."[18]

بين الشرح والفهم نموذجٌ لفهم النص وتأويله عن طريق العلاقة الحوارية بين الفهم والشرح باعتبار النص آلة اشتغال محض داخلي، ويكون الفهم حلقة تواصل ينتج عن حوار بين روح القارئ وروح المؤلف. أما من ناحية الشرح فإنه" يسمح بالفهم الأحسن، أي عندما لا نفهم النص بطريقة تلقائية، نطلب الشرح الذي يقدم يسمح لنا بفهم أحسن، وما الشرح سوى فهم طوّرته الأسئلة والأجوبة. فيحدث بذلك تطابق تقريبي بينهما. ومن هنا، فإن الذات إذا ما كانت مدعوة إلى فهم نفسها أمام النص، فإن ذلك لا يتمّ إلا في نطاق انفتاح النص على العالم الذي يعاود بناءه ووصفه".[19]إذ لا يمكننا تصور قراءة تأويلية خارج دائرة نظام النص وأنماطه الدلالية، ليأتي دور الممارسة التأويلية بعد ذلك عبر جملة من أدواتها، مثل الأحكام المسبقة،والمسافةالزمنية،من منطق السؤال والجواب،والمقام،وانصهار الآفاق، لتفتح حوارها مع هذه الأبنية إلغاءً وتعديلاً وإضافة، فيخرج إلى الوجود فهم/تأويل مخصوص هو ثمرة هذا التفاعل/التكامل بين الموضوعي والذاتي[20]

إن مفهوم التأويل يتعلق بعملية الفهم، أي فنّ فهم النصوص، "وقد عرف تطوراً منهجياً شكّل قاعدة أساسية لمجمل التطورات التي وقعت في مجال العلوم الإنسانية،حتى إنّه ليمكننا القول:إنها تحولت عن هدفها الأول – وهو هدف نفعي(براغماتي) – وهو المساعدةعلى فهم النصوص الأدبية، وهو لم يعد غريباً عن النصوص الأدبية فحسب، بل تعداها إلىضروب معرفية أخرى كانت تعتمد التأويل كالحقوق والفلسفة. وعليه، فإن التأويل لم يكتسبمكانته اللائقة ضمن منظومة العلوم الإنسانية إلا من خلال ظهور ما يسميه غادامير H-G.Gadamer. ميلادالشعور التاريخي "فإذا عدنا إلى جينيالوجيا التأويل في الثقافة الغربية منذ العصر اليونانيإلى غاية العصور الحديثة، نجد أنه يظهر بوصفه مفهوماً يقترب من معنى الهيرمونيطيقا اقتراباً واسعاً، وليس ذلك تطابقاً لمعنى المصطلحين،امامنحيث العمل أوالوظيفة.[21]

2-3 الاشتغال الفلسفي للنصوص التأويلية .

وقد أدت مناقشات مصطلح التأويل وعلاقته بالنص وجوهه ونظائره إلى عدة اعتبارات، وهو ما يؤكد لنا نصيب الاهتمام بالتأويل في الدرس النقدي الحديث، إلاّ أن هذا لا يظهر إلا من خلال ما يسمى :

أولا : الفهم المباشر للنص .

لقد استطاع فعل التأويل أن يحوّل القراءة من فعل استهلاك لفعل إنتاج ؛ لأنه يرقى بعمل القراءة إلى مدارج المعايشة الحميمية لفسيفساء –النص- والتمثل العميق لمفاتنه، فتصير علاقة القارئ بالمقروء علاقة رغبة واشتهاء متبادلة لكن هذه العلاقة تختلف باختلاف أهداف المتلقي ، فهناك القراءة التي تعتمد الاستيعاب المتنامي منطلقة من الجزء إلى الكل وهناك القراءة التي تعتمد على استباق المعنى، بناءً على التخمين ولكن مع التعود والدربة تتكون لدى القارئ طقوس وعادات قرائية كالسرعة في الاستيعاب ، وتجميع المعنى الإجمالي في جمل محدودة ورصد التيمات، معتمدة على مهارات الانتقاء والتخزين والتأويل وما شابه ذلك .[22]

إذن،نستطيع أن نفسر تعدد الفهم في ضوء ثنائية –الظاهر والباطن- التي فكل نص على إنه وجهان متلازمان- الظاهر- مباشر أحادي والخفي -الباطن –المتعدد، وطالما تعددت أشكال هذا الوجه أصبح بإمكان كل قارئ أن يفهم المعنى الذي يقارب مستواه الثقافي والاجتماعي .

فمنهج التأويل يسمح لنا بكشف ميادين متنوعة ومتعددة وفق علاقات معرفية مختلفة،فهو المفتاح الذي لابد منه لفتح المعاني المغلقة داخل النصوص وفهمها، والفهم هنا يتعلق بكل أنواع النصوص على اختلافها، وعليه يقوم التأويل بعملية فحص لهذه النصوص داخلياوربطها بسياقاتها العامة خارجيا مع مجاوزة ذلك التصور الكلاسيكي لعملية الفهم، الذييقترن بالظواهر الاجتماعية والسلوكات الفردية، وكذا بمختلف الأحداث التاريخية والإبداعات الفنية والجمالية.[23]

و بالإضافة إلى إشارة العرب إلى علاقة التأويل بالاستعارة، نجد هذا جليا عند الغربيين الذين يؤكدون على أن: " التأويل الاستعاري يستند إلى المؤولات أي إلى وظائف سيميائية نصف مضمونها وظائف سيميائية".[24]

و في هذا إشارة إلى أن التأويل يرتبط عند الغربيين بالعلاقات السيميائة و السياق الذي يحدد المعنى من خلال الوضع اللغوي و الثقافي للمتلقي، فالتأويل مرتبط بالنص، ومن هنا نصلفي ورقة هذا المقالإلى ضرورة تقديم معنى السياق و دلالته.

ثانيا :مفهوم السياق:

ذهب ابن فارس أنّ: «السين و الواو و القاف أصل واحد، و هو حَدْوُ الشيءً يقال: "ساقه يسوقه سوقا و السيّقة:ما استيق من الدواب. و يقال: سقت إلى امرأتين صداقها وأسقته، و السوق مشتقة من هذا لما يساق إليها من كل شيء، و الجمع أسواقوالساق للإنسان و غيره ؛ و إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق إليها".25

أما المعنى الاصطلاحي للسياق، فقد أشار الجاحظ إليه بقوله: " و أرى أن ألفظ بألفاظ المتكلمين ما دمت خائضا في صناعة الكلام مع خواصّ أهل الكلام، فإن ذلك أفهَم لهم عنّي،و أخفّ لمؤنتهم عليّ، و لكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها، فلم تلزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مُشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة، و قبيح المتكلم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلمين في خُطبة أو رسالة، أو في مخاطبة العوام و التجّار أو في مخاطبة أهله و عبده أو أمَته، أو في حديثه إذا تحدث، أو خبره إذا أخبر. و كذلك فإنه من الخطأ أن يجلب ألفاظ الأعراب و ألفاظ العوامّ و هو في صناعة الكلام داخل، و لكل مقام مقال، ولكل صناعة شكل".[26]

كما نجد أن السياق هو "المصطلح الذي اعتمده الغرب بدلا من المقام الذي عرفه العرب قديماً، و أُدرج ضمن ما يعرف بالتداولية إذ أن مفهوم السياق، خصوصا في الدراسات التداولية، تجاوز به الباحثون التعريف النموذجي الأرحب للسياق فأصبحت تعرف مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام، و تسمى هذه الظروف، في بعض الأحيان بالسياق".[27]

و من هنا تحديداً نصل إلى ضرورة بيان أهم المراحل التي تُسهم في عملية الفهم من خلال مفهوم التأويل و السياق.

إنّ انفتاح النص وحدود تأويله، تحدثت فيه عن بعض النظريات الغربية التي تقول بالقصدية أو الإحالة كما يسميها البعض ووجود معنى محدد للنصوص وتقترب من النظرية التفسيرية في الإسلام، ولكنها لم تثر اهتمام الحداثيين العرب في تطبيقها على القرآن الكريم.

وقد عرف أحمد صالح الشامي القصد في المجال الفني والأدبي بأنه "نفي العبث عن موضوع الجمال، والسلامة من العبث تعني وجود باعث وغاية للموضوع الجمالي، والعبث أمر يرفضه المنهج الإسلامي في أصوله وفروعه.كما يرفضه الجمال على وجه الخصوص؛ لأن الجمال تناسق وتوازن وإحكام. وهو يقوم على القصد والإرادة. والعبث لا يقوم على منهج وليس له غاية، ولذا فهو والجمال على طرفي نقيض أي يُعني بالقصدية،[28]

إنّ محلّل الخطاب لابد من أن يتفحص جيداً العلاقة بين المتكلم و الخطاب ، وهو ما أشارت إليه نظرية التلقي للنصوص الأدبية بطريقة مباشرة، إذ ترى أن أهم شيء في عملية الأدب هي تلك المشاركة الفعالة بين النص الذي ألفه المبدع و القارئ المتلقي، أي أن الفهم الحقيقي للنصوص و الخطابات ينطلق من موقعة القارئ في مكانه الحقيقي و إعادة الاعتبار له باعتباره هو المرسل إليه و المستقبل للنص و مستهلكه و هو كذلك القارئ الحقيقي له تلذذاً و نقداً و تفاعلاً و حواراً. و بالتالي فإنّ ." محلّل الخطاب حينما يستعمل مصطلحات مثل الإحالة و الافتراض و المعنى الضمني و الاستدلال، فإنه في الواقع يصف ما يفعله المتكلمون والمتلقون، و لا يهتم بالعلاقة بين جملة أو مضمون ما و جملة أخرى".[29]

2 تحديد العلامة اللغوية.

أن العلامة اللغوية تحدّها ثلاثة أبعاد هي: الدال و هو سلسلة الأصوات المكونة للعلامة، و المدلول وهو المفهوم المجرد الذي يستفاد منها، بالإضافة إلى البعد الثالث ألا و هو المرجع و هو ما تحيل عليه العلامة اللغوية في العالم الخارجي، وهوما يؤكده جونلاينز. John Lyonsفي سياق حديثه عن المفهوم الدلالي للإحالة إن " العلاقة القائمة بين الأسماء و المسميات هي علاقة إحالة: فالأسماء تحيل إلى المسميات"30

أي أن الإحالة شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيراً معيّناًو هنا يصل المخاطب إلى العملية التي تعرف بالتأويل حيث يقوم باستخلاص صورة المعنى المتخيّل عبر سبر أغوار النص أو الخطاب و استخراج دلالاته والبحث عن المعاني الخفية و الواضحة عبر ملء البيضات و الفراغات للحصول على مقصود المتكلم و تأويل خطابه انطلاقا من الخبرات و المعارف التي يمتلكها المخاطَب سواء كانت علمية أو ثقافية أو اجتماعية.

والغالب أنّ العلامة لا تحدث إلاّ بالمواضعة حيث أشار إلى ذلك فردينان دي سوسير **Ferdinand De Saussure**في دراساته اللغويّة التي أعرب فيها على وجود علاقة بين الدالوالمدلول ولكن لا يشترط أن تكون معلّلة، بمعنى أن حامل العلامة لا يحمل في جوهره تأكيد للعلامة؛ لأن بناءها جاء عن طريق العُرف الذي لا يركّز عن ضرورة الجمع الحقيقي بين الدال والمدلول؛ويعرّف العلامة بأنّها " وحدة نفسيّة ذات وجهين مرتبطين ارتباطاً وثيقاً ، يتطلّب أحدهما الآخر.أماالوجهان،فهما التصوّر concept والصورة السمعيّة Image **acoustique**، والتأليف بينهما يعطينا الدليل الذي يتوفّر على مكونين اثنين : الدال والمدلول ، وبالجمع بينهما يُكوّن المعنى إلاّ أنّ العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطي".[31] ويقصد بالنفسيّة هنا "هو الأثر الذي تتركه العلامة فينا ، وعند نطق كلمة طبيب مثلاً : فإنّ اللفظة تحيلنا إلى العلامة الكبرى وهي الطبيب الحقيقي بمئزره الأبيض ومنه تتوافر لدينا معاني الشفاء والرحمة والحقنة والعمليّة الجراحيّة،وغيرها.[32]

ويكتسي" علم العلامة أهمية كبيرة عند المفسّرين وأهل الدين لما له من تداخل وتواجد مع جميع العلوم والمعارف كالكيمياء والفلك والسّحر« ذكر العلاّمة البيضاوي في بعض رسائله أنّ علم السيمياء حاصلة إحداث مثالات خياليّة لا وجود لها في الحسّ، ويطلق على إيجاد تلك المثالات بصورها في الحسّ

وتكون صوراً في جوهر الهواء وهي سريعة الزوال بسبب سرعة تغيّر جوهره،ويستفاد منه حصول ملكة نفسانيّة يقتدر بها أفعال غريبة بأسباب خفيّة ثمّ قال: والسحر منه حقيقي ومنه غير حقيقي، ويقال له: الأخذ بالعيون وسحرة فرعون أتوا بمجموع الأمرين والمشهور أنّ هؤلاء السحرة جعلوا في الحبال والعصيّ زئبقاً فلما أصابتها حرارة الشمس اضطربت واهتزت فخيل إليه عليه السلام أنّها تتحرّك وتمشي كشيء فيه حياة."33

3- تأويل الخطاب

وهو عملية الافتراض التي تنطلق من المرسل إلى المرسل إليه.أيالخلفية المعرفية لتحقيق النجاح في عملية التواصل،ومن ثمّ الوصول إلى تأويل الخطاب و قصد المخاطِب تأويلا صحيحاً و منهالوصول إلى القصد والغاية. فلو قلنا على سبيل المثال : أنجز واجباتك المدرسية ؟فهذا الملفوظ يحمل خلفية -الافتراض المسبق- مضمونها أن التلميذ لم ينجز واجباته المدرسية .

إلاَ أن تأويل الخطاب يأخذنا إلى ما نسميه في النقد بالمعنى الضمني من حيث العلاقة: أن تتحدث عما هو مناسب للموضوع.

أي أن يكون أسلوب المتكلم واضحاً، مع تجتنبه الغموض في التعبير، و يبتعد كل الابتعاد عن ازدواجية المعنى مع ضرورة التركيز على الإيجاز و عن الحشو، وأن يكون منظما[34]فالمعنى الضمني هو من إحدى الجوانب المقاصدية من المعنى، أي يعتمد على التزام المتكلم و المخاطَب بالمبدأ التعاوني و ضوابطه، و من وجهة المحلّل أيضا أي لابد من اعتبار المعاني الضمنية غير محددة بما أنها نابعة من فرضية أن لدى المتكلم أو المرسل النية في أن يدلي بكلام له معنى.

فالعلاقة بين النص وبيئته أو سياقه العام هي "كالعلاقة بين النطفة وصاحبها ، ومن هنا نشأ الاهتمام بالمقام في الدراسات اللسانية الحديثة ، حتى كاد البعض يوليه أهمية أكثر من السياق. فهو ذو أهمية كبرى في تحديد بعض الدلالات التي تحملها الرسالة وبدونه قد تحاط بهالة من الغموض يعسر على المتلقي فهمها وهذا ما يبرر انهيار المنهج البنيوي الذي اقتصر على تحليل النص وحده، دون ربطه بمراجعه وخلفياته من مبدع وظروف اجتماعية ، فحمل في بذوره فنائه ووضع نفسه أمام الباب المسدود ، بسبب هذه الانغلاقية وقد عدّ علماء البلاغة أن مراعاة ظروف النص أمر لابد منه ، فهي في رأيهم" مطابقة لمقتضى الحال."[35]

فتأويل النصوص إنما يتحدد بسياقاتها وبحال المتكلم بها .فعلى محلّل النص أن لا يكتفي بمعرفة السياق وحده، بل لابد عليه من اللجوء إلى التبحّر في العلوم العربية ، والعلم بالحقيقة و المجاز، كذا بالتراكيب من نحو وصرف بالإضافة إلى الصيغ المتمثلة في أفعال الكلام من أمر و نهي. و ما يندرج تحتهما ومن مطلق و مقيد وعام و خاص .فالتأويل و السياق وجهان لعملة واحدة لا يمكن لأي قارئ أن يستغني عنهما في بناء النص وبيان معناه أو إعادة قراءته من جديد.

الخاتمة :

في ختام هذه الورقة البحثية يتبيَن أن دور المنهج التأويلي في استنطاق شفرات سلطة النّص وسلطة السّياق تؤكد أنّ:

-التأويل هو ممارسة عادية قد تكون ضرورية في بعض الأحيان، وقد تكون واجبة أحياناً أخرى تتوقف عن الفروق الفردية بين القراء ، كما هي بين الناس؛وهذا لأن الدراسات الحديثة تجعل من النص الواحد منها معنى ظاهراًومعنى خفياً، أي ما يسمى باستنطاق البنية اللغوية وإثرائها بالدلالات استناداً إلى جملة من الشروط يأتي في مقدمتها السياق .

ومجمل نظريات هذا الفكر مرتكزة على أساس أنّ:

-النص هو وسيط لغوي ينقل فكر المؤلف إلى القارئ، وبالتالي فهو يشير في جانبه اللغوي إلى اللغة بكاملها، ويشير في جانبه النفسي إلى الفكر الذاتي لمبدعه، والعلاقة بينهما جدلية صرف، وأنه كلما تقدّم النص في الزمن كلّمازداد غموضاً وتعقيد أو استعصى على الفهم ، وصرنا أقرب إلى سوء الفهم منه إلى الفهم، وعلى ذلك لا بد من قيام علم يعصم القارئ من سوء الفهم مهما تقدم الزمن، ما تختلق عمّا يُؤمِّنه النص من معاني جاهزة سلفاً لا تُحقّق سوى تجسيد السلطة بمعناها الإطلاقي،وهذا ما يجعل النص الجديد بعيداً عن الواقع الموضوعي، خارج مدار المعاني الجاهزة من نسق الكتابة ، وهو مايفترض موت المؤلف كي يعيش النص.

-الكتابة عالم مهووس بالأثر، وهي قاعدة نمَت فيها ذواتنا عبر متواليات نصية لا تخدم القطيعة الابستمولوجية مع النص المكتوب ولهذا كان ديريداً يركز على الصوت داخل النص وتجاوز النسق اللغوي الواصف.فإذا كان النص بهذا الاعتبار هو اغتيال حقيقي للكاتب، فالتلقي وحده الذي يجعل للخطاب الأدبي عموميته التأويلية كنص.

- إن المنهج الهيرمينوطيقي يتعامل مع النصوص بموضوعية،لكن على أساس النسبية؛ لأنه ينفي الثبات الموضوعي، فهذا المنهج لا يفصل الذات عن موضوعها بل يجعلها شيأ واحداً متكاملاً.

هوامش البحث :

1 ابن منظور، لسان العرب، ج1، وج2، دار إحياء التراث العربي ، بيروت 1993 ماد أوّل ، ص 4517.

2 ابن فارس: معجم مقاييس اللغةج1، تحقيق عبد السلام هارون دار الفكر بيروت 1996مادة أوّل ص2533.

3 ينظر :بول ريكور : من النص إلى الفعل أبحاث التأويل ترجمة محمد برادة وحسان بورقيبة ط1 2001 عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ص37.

4 ينظر :أحمد مداس : التواصل والتأويل ، مجلة جامعة بسكرة العدد 8 2010ص8.

5 ينظر: المرجع نفسه : ص9.

6 ينظر:المرجع نفسه : ص9.

7 ينظر: المرجع نفسه : ص9.

8 ينظر:أحمد مداس : التواصل والتأويل ، مجلة جامعة بسكرة ص8.

9 حسان دواجي غالي : الهرمونوطيقاوايتيقا التخاطب ، رسالة دكتوراه جامعة وهران قسم الفلسفة ، اشراف الدكتور بومدين بوزيد ،2012-2013 ص77

10 جميل صليبا: المعجم الفلسفي ج1، الشركة العالمية للكتاب بيروت 1994 ص223 .

11 جميل صليبا: المعجم الفلسفي ج1، ص226 .

12 سورة الأعراف ،الآية : 52 .

(13) عبد الجليل عبد الكريم سالم : التأويل عند الغزالي نظرية وتطبيقا ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ط2 2006ص56.

14 سورة آل عمران، الآية 53.

15 ينظر:عبد الرحمان: بدوي :منطق أرسطو ج1 دار القلم بيروت 1985 ص96

16 الزاوي بغورة: الفلسفة واللغة ، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة دار الطباعة والنشر بيروت لبنان ط2 2006 ص68 .

17 أومبرتو إيكو :العودة إلى الجذور . ترجمة ناصر الحلواني . ضمن مجلة القاهرة . العدد 3 نيسان 1998م . ص23.

18 ناصر حامد أبو زيد : فلسفة التأويل ، المركز الثقافي بيروت ،ط6 2006 ص123.

19 حسن بن حسن ، النظرية التأويليةعند بول ريكور، منشورات الاختلاف ،ط 2:،2003، ص.6:ضمن حسان دواجي غالي : الهرمونوطيقاو ايتيقا التخاطب ، رسالة دكتوراه جامعة وهران قسم الفلسفة ، اشراف الدكتور بومدين بوزيد ،2012 -2013 ص77.

20 حسان دواجي غالي : الهرمونوطيقاوايتيقا التخاطب ، رسالة دكتوراه جامعة وهران قسم الفلسفة ، اشراف الدكتور بومدين بوزيد ،2012 -2013 ص78

21 عمر مهيبل، من النسق إلى الذات، قراءات في الفكر الغربي المعاصر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط، 1،2007 159 ضمن واضح عبد الحميد : اشكالية التأويل وانموذج النص في الفلسفة الغربية المعاصرة قراءة في هرمونوطيقا " بول ريكور، رسالة دكتوراه ، اشراف الدكتور عمارة ناصر ، جامعة مستغانم ، كلية اللغة والأدب العربي 2015-2016 ص05.

22 ينظر حميد الحمداني: الدلالة وتوليد المعنى ، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز الثقافي العربي بيروت ط3 2006 ص151.

23 ينظر:المرجع نفسه : ص15.

24 ابن فارس: معجم مقاييس اللغةج4، تحقيق عبد السلام هارون ، تح ، مطبعة الباي الحلبي القاهرة ط1990.2 ص158.

25 تمام حسان :اللغة العربية معناها ومبناها الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر ط2 1979 ص352-353.

26 الجاحظ، الحيوان: تح ،عبد السلام هارون دار إحياء للتراث العربي ط3 1969 ج3 ص368..

27 محمد محمد يونس : علي المعنى و ظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، ط2 بيروت، لبنان، دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا، 1990.ص118.

28 عاطف العراقي، مادة -تأويل- و-الفنون-، الموسوعة الفلسفية العربية ، الاصطلاحات والفنون المجلد الأول إشراف: معن زيادة، معهد الإنماء العربي، ط3بيروت، 1988 ،ص3

29 براون: تحليل الخطاب، ترجمة و تعليق محمد لطفي الزليطي، و منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، عن.مؤسسة سعودية للنشر والتوزيع ، 1418 هـ 1997 ص 36.

30 رولان بارث: النقد البنيوي للحكاية .ترجمة أنطوان أبو زيد ، دار عويدات ط5 بيروت 2005 ص46.

31 محمد إقبال عروي،(السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير)، مجلة عالم الفكر،ص: 120. ضمن : مدقن هاجر: العلامة و وأنماط الخطاب ،مجلة مقاليد جامعة ورقلة، العدد 1، 2001 ص46

32 المرجع نفسه: ص46.

33 المرجع نفسه : ص48.

34 ينظر براون: تحليل الخطاب، ترجمة و تعليق محمد لطفي الزليطي، و منير التريكي، ص ، 55.

35 عبد العزيز عتيق : في البلاغة العربية ، دار النهضة العربية بيروت ط3 1998 ص21.

قائمة مراجع

القرآن الكريم

1-أومبرتو إيكو :العودة إلى الجذور . ترجمة ناصر الحلواني . ضمن مجلة القاهرة . العدد 3 نيسان 1998م .

2-براون: تحليل الخطاب، ترجمة و تعليق محمد لطفي الزليطي، و منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، عن.مؤسسة سعودية للنشر والتوزيع ، 1418 هـ 1997 .

3-تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها ،الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر ط2 1979 .

4-الجاحظ، الحيوان: ج3 ،تح، عبد السلام هارون دار إحياء للتراث العربي ط3 1969.

5-حميد الحمداني: الدلالة وتوليد المعنى ، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز الثقافي العربي بيروت ط3 2006 .

6-رولان بارث: النقد البنيوي للحكاية .ترجمة أنطوان أبو زيد ، ط5 دار عويدات بيروت 2005 .

الزاوي بغورة: الفلسفة واللغة ، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة دار الطباعة والنشر بيروت لبنان ط2 2006

7-عاطف العراقي: الموسوعة الفلسفية العربية ، الاصطلاحات والفنون المجلد الأول إشراف: معن زيادة، معهد الإنماء العربي، ط3 بيروت، 1988 .

8-عبد الجليل عبد الكريم سالم : التأويل عند الغزالي نظرية وتطبيقا ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ط2 2006
9-عبد الرحمان: بدوي :منطق أرسطو ج1 دار القلم بيروت 1985 .
10-عبد العزيز عتيق : في البلاغة العربية ، دار النهضة العربية بيروت ط3 1998 .
11-محمد محمديونس : علي المعنى و ظلال المعنى، دار المدار الإسلامي ط2، بيروت، لبنان، دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا1990.
12-ناصر حامد أبو زيد : فلسفة التأويل ، المركز الثقافي بيروت ،ط6 2006 .